الفكر الاسلامي والعالم المعاصر

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

صدر للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله كتاب جديد باللغة الفرنسية تحت عنوان «الفكر الاسلامي والعالم المعاصر» . انطلق في بدايته بالتعريف بطبيعة الاسلام وابعاده . ومدى التوفيق الذي يقوم به الدين في نطاق الجمع بين المادة والروح . ومن ثمة ولج الى التعريف بالدين الاسلامي، وسبل هذا التعريف مع تفادي البحث عنه من خلال المسلمين والاعتماد اساسا على تحليل الاسلام وعقيدته ومبادئه والمحركات الحيوية لديناميكيته ، بالعودة الى المصادر الخالصة ، التي اعتمدها الائمة السابقون في القرون الاولى امثال ابن حنبل وابن تيمية . ومن بعدهم طبقة المصلحون مثل عبده الافغاني ، امام الحركة السلفية .

وفي معرضه لقوة الاسلام، اشار الى مكانتها في مبادئه، والعمل على تفتح الكائن في ظروف ملائمة وفي مجال التضامن الجماعي ، كمجال لاشعاع سعيد ، واكد كيف ان الاسلام يوصي بالمواطن الحر في حمى عن الظلم وفي ظلال الكرامة . كما اشار الى اهتمام الاسلام بسلوك الفرد داخل المجتمع والى طبيعة العلاقات الناشئة من الاحتكاك اليومي للمواطنين وفي ذلك يكمن سر التقدم الحقيقي . في موضوع العنصر الاجتماعي، يظهر اهتمام الرسول بالقيمة الاجتماعية للشعائر الثقافية ، واستنكاره للمغالاة في العبادة المتطرفة كالصوم والتعبد المتوالي . ويبين قيمة الاسلام في العمل من اجل توطيد الروابط الاخوية داخل المجتمع ، واسهامه في نبذ الرذائل ، كالزور والعقوق . ويعرج على منزلة العامل عند الاسلام وحقوقه . والتاكيد على الابتعاد عن رذيلة اسناد الأمور الى من لايستحقها .

وعن المرأة ، وتكريم الاسلام لها واعترافه بحقوقها ، يبرز شهادة الاوربيين ، التي يقرون فيها باخذهم عن الاسلام بحقوق المرأة .

وفي معرض الاسلام والعلم ، تعرض للعلم كطريق للايمان ، واستعرض شهادة اليكسي كاريل ، صاحب جائزة نوبل في الطب ، التي تؤكد ان الاسلام يتفق والابتكارات العلمية ، ومن ثمة يبين الكتاب اهمية الدين في المحافظة على حرية التفكير وخدمة العلم ، ويذكر بدور العلم في ظلال الاسلام وما اسداه الاسلام بعلمه واحتفائه للعلم من خدمات .

وفي فصل تجديد الاسلام، ينطلق الكاتب من الحركة السلفية ، كمنهج تصحيحي، لكل زيغ عن الطريق القويم لتطبيق تعاليم ومبادئ الاسلام . وكانت هذه الحركة قد قامت على يد ابن تايمة وابن الخيام في القرن السابع الهجري ، عند تصدع الاحوال في عهد العباسيين .

لقاء الفصل الخامس بالاسلام والماركسية يكشف كيف ان الاسلام كان سباقا الى احتضان قضية العامل والدفاع عنه ، من خلال الاحاديث النبوية .

اما فصل الاسلام والوضعية العلمانية ، فينطلق من احتضان الاسلام للديانات الثلاث ، والتنسيق بين مختلف الاوجه . وتوجيه الفرد كمادة وروح معا ، وتوجيه المجتمع حسب مسلسل من الانسجام في نطاق البحث عن توازن انساني ، يبلور الوجود الافضل لعالم الحاضر والمستقبل . ثم يبين مكانة وقيمة الاجتهاد بعد انتهاء الوحي بموت النبي . ويستدل في ذلك ، بابن سينا ، وفلسفة الشفاء ، والعبادة الداخلية التي تقود الى تأمل الكائن المطلق

في فصل الصوفية والفلسفة العقلانية ينطلق من العلم الالهي ، وتتجلى فيه اسماء الاله ، كمصدر للنور واتحاد النفس بالملائكة ، في الامتثال التام لهذه الاسماء الالهية . الذي يتجسد بواسطة اشعاع القلوب ، يمكن تكييف الحياة الانسانية مع مثالية متحركة وفاعلة ، ومن ثمة اقامة المدينة الفاضلة . فاذا كان الدين يشكل العقيدة ، فان الايمان يشكل عملها . وتلك هي ممارسة الاعمال الحسنة ومن خلال ذلك يلوح اسقاط اسلامي على العالم المعاصر . وفي تواجد الروح والمادة والنفس والجسد ، يبدو ذلك الصراع المقام حول الذات والموضوع في وحدة بسيكو فيزيائية للعالم . ولطبيعة هذه المادة يشير الكتاب في هذا الفصل الى ان دراسة مقارنة للعلاقات بين الروح والمادة وحقيقة الزمن وطبيعة الابعاد الكونية ، قادت العلماء الى التخلي عن فكرة وجود مفهوم زمني كفاية . فقد اكدت تطورات علوم الفيزياء والبيولوجيا وعلم النفس خلال نصف قرن ، قلبا كبيرا في بعض المفاهيم التقليدية ، ودعت الى ضرورة مراجعة جذرية للمفاهيم القديمة . فتزعزعت فكرة التعارض بين المادة والروح . بقية الكتاب تنساب في الفكر الاسلامي والميثافيزيقيا انطلاقا من التصوفية وعبر السلفية والمعرفة الكاملة بالاله واسمائه والتلميح الى النفس كمصدر للكليات العقلية . وحقوق الانسان ـ الايمان وحقوق المرأة والحرية والشغل والتضامن كل المواضيع تستند الى ترجمة للاحاديث وما روته كتب القدامى . على ضوء محاولة التكييف والاستجابة للحظة الراهنة ، التي يواجهها العالم بسبب القطيعة التي حصلت بين ما هو مادي ، وممارس ، وما هو روحي ، يبحث عنه الانسان وهو بين يديه ولكنه لايقوى على تطبيقه ومحاولة الاستعانة به للخروج من الورطة التي اوجد فيها نفسه .